الحل والنظرة الشمولية للحج

سامي بن محسن عنقاوي
مركز عمار للتراث العمراني

المقدمة:

الحج من الأساسيات الثابتة التي بُني عليها الإسلام واكتمل بها الدين، للحج تاريخ ممتد الأعماق ونظام متكامل له مظهر وجوهر وأهداف ومنافع دينية ودنيوية لا حصر لها وجوانب متنوعة ومسائل متعددة والنظام الكامل يحتاج إلى تنظيم متكامل الجوانب لخدمته ولقد كان لكل عصر من العصور أمور تطرأ على الحج لها جوانب سلبية قد تسمى (مشكلات) وما هي إلا مسائل تحتاج إلى حلول مناسبة لتجنبها ومهما عملنا فسيكون هناك دائماً مستجدات عصرية تحتاج إلى دراسة متعمقة وشاملة ومستمرة لمتابعتها وتحليلها والتعرف على جوانبها ومن ثم وضع الاستراتيجيات والسياسات والأولويات المناسبة لحلها.

وبعدها تأتي مرحلة وضع الخطط والمخططات العامة والتفصيلية المتكاملة لتطبيق الاستراتيجيات والسياسات، بما يتماشى مع الحج ومنافعه والمعطيات الرئيسية له وهي الزمان والمكان - والكثافة - والثوابت الدينية مع مراعاة الأولويات الأساسية لخدمات الحج وهي (الأمن والسلامة - الصحة العامة والبيئة - نوعية وسائل الخدمات) في إطار نظرة شمولية للحج بحيث لا يتم حل الجزء على حساب الكل ولا العكس.

حيث يجب أن يكون هناك:

- الوسيلة المنظومة و مكوناتها (معلومات - تخطيط - تنفيذ).
- الهيكل التنظيمي.
- الإرادة السياسية.
- الآلة (الميزان).
- الآلية (القسط) ثوابت و معايير.

١. الوسيلة:

بما أن عدد الحجاج يتصاعد سنة بعد سنة أصبحت قضية استيعابهم و تيسير حجهم و حلهم و ترحالهم مشكلة ملحة تحتاج إلى:

١- الاستفادة من المعلومات المتوفرة.
٢- التخطيط السليم.
٣- التنفيذ المحكم تحت إشراف جهاز فني متكامل.

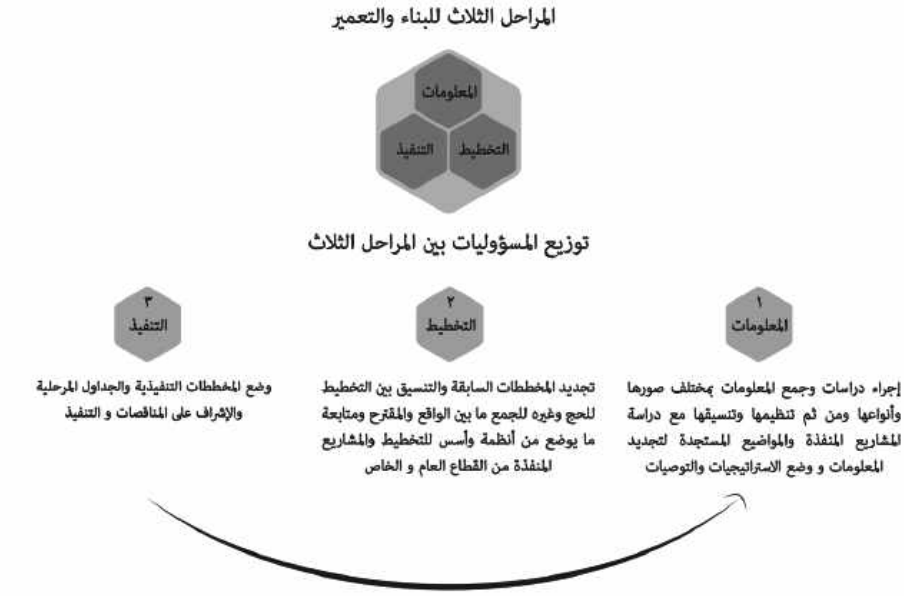

الشكل ١.

ولما كانت مكة أم القرى أول حرم و قبلة المسلمين، و المدينة المنورة ثاني الحرمين أول مدينة إسلامية عاش ومات فيها رسول الله محمد ﷺ ومسجده مقصد الزوار، فالتخطيط في هذا المجال متشعب ويتطلب الكثير من الحكمة والتروي في اتخاذ القرارات التي يجب أن تستند على معلومات كاملة ودقيقة ومبنية على استراتيجيات وسياسات تخطيطية تعين المسؤولين على اتخاذ القرارات السليمة.

ولو نظرنا إلى الواقع بحثًا عن المراحل الثلاث سالفة الذكر لوجدنا أن القدرة المادية والقوة العاملة موجودة ومتوفرة لمرحلتي التخطيط و التنفيذ، وكانت دون ذلك بالنسبة لمرحلة المعلومات ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى توحيد الجهد وتجميع القوى العاملة والمفكرة في مركز للأبحاث، للاهتمام بعمل الأبحاث والدراسات في شتى المجالات ولجمع المعلومات وتنسيقها للاستفادة منها في مجال البناء والتعمير بشكل عام والحج بصفة خاصة.

١.١ منظومة الحج و مكوناتها:

١.١.١ البيئة والحج

لاشك أن إرادة الله سبحانه وتعالى بأن تكون مكة بوادي غير ذي زرع وشعائر الحج تؤدى في أرض حارة جافة بين جبال قاحلة ومساحات محدودة ومسافات متناسبة لها حكمتها.

وأن أي مشكلة من المشاكل التي قد تطرأ على الحج مهما كبرت لها تأثير وقتي ومكاني محدود نسبيًا إذا ما قورنت بالمشاكل البيئية والصحية التي قد ينتشر أثرها إلى وراء الحدود وعلى المدى الطويل لا سمح الله.

والمشاكل الصحية تظهر في الغالب بسبب اختلاف التوازن في منظومة البيئة المحيطة وعلى سبيل المثال وجد من دراسات سابقة خاصة بالبيئة في المشاعر المقدسة وفي منى بالتخصيص بأن هناك علاقة وثيقة بين وجود الجبال وتكوين الوادي والجفاف والحرارة ووجود الخيام وحركة الرياح من جهة والمحتوى الميكروبي لمنى بشكل عام، وكذلك نوع المأوى المحيط بالشوارع أو المناطق تحت الكباري والأنفاق والكثافة السكانية كل ذلك له علاقة بتواجد وكثافة الميكروبات كما وجد أن المباني الاسمنتية المغلقة والمكيفة تزيد من كثافة الميكروبات فيها بما لا يقل عن واحد وعشرون ضعف ما هو موجود في الخيام.

وتواجد السيارات ورش المبيدات وصعوبة النظافة العامة وتسرب المياه إلى الشوارع يضاعف حجم وأبعاد المشكلة ونلاحظ أنه أصبحت ظاهرة واضحة مشاكل الأمراض التنفسية في الحج وبعده وهذه بداية المشكلة والتي تؤدي إلى مشاكل أبعد على المستوى المحلي والوطني والإسلامي لا سمح الله.

إذًا فالاهتمام بالجانب البيئي يجب أن لا يقل أهمية عن أي جانب من جوانب الحج مثل الإسكان والحركة وغيرها من الخدمات.

١.١.٢ الأمن والسلامة

إن هذا الجانب من جوانب متطلبات الحج الأساسية والتي يتميز وقتنا الحاضر بأنها أفضل من أي مرحلة سبقت في العصور القريبة، وذلك بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بما هو معروف وواضح من حسن قيادة حكومتنا الرشيدة.

إن التداخل بين جانب الأمن والسلامة أمر يصعب الفصل بينهما في بعض الجوانب إلا أن جانب السلامة يتأثر تصاعديًا بزيادة العدد ويتأثر سلبيًا بمدى ميكنة الحج أو زيادة التعقيدات التقنية، وعلى سبيل المثال فإنه على الرغم من أن الخيام لها سلبيات وفي حالة معالجتها وتطويرها تصبح الخيام وسيلة مناسبة على العكس من وضع مباني متعددة الأدوار بطريقة غير ملائمة للحج والحجاج فإن المشكلة قد تزداد تعقيدًا وخطورة، فكلما كان الحل لمسائل الحج بسيط وأقرب إلى الفطرة كان أقرب إلى طبيعة الحج وأسلم للحجاج وأقل صعوبة على المسؤولين عن التنفيذ وأقل تكلفة مالية.

وإذا أخذنا بالجوانب الأخرى مثل الوضع الثقافي والاجتماعي والاقتصادي للحجاج الآن وعلى المدى الطويل فإنه لن يكون هناك تغيير ملموس والعدد الغالب من الحجاج تغلب عليه البساطة والفطرة وعدم التعود على وسائل التقنية الحديثة. وهذه الجوانب تؤثر على الحج ومتطلباته مثل الإسكان والحركة وغيرها.

ولذا وجب أن يكون التخطيط لجانب السلامة جزء مكملًا بصورة أساسية للمخطط الشامل للحج وخدماته وتنظيمه على مسار المدى الطويل كما أن وجود السيارات الصغيرة والخاصة تشكل صدر غير مضمون للأمن و السلامة.

١.١.٣ النقل والحركة

النقل هو جزء من موضوع الحركة ولقد سبق أن دُرس هذا الموضوع بشموليته وكل جوانبه ولخصت الدراسات إلى وضع استراتيجية متكاملة لحل مشاكل المرور والحركة وتتلخص في ثلاثة نقاط استراتيجية هي:

١- تشجيع المشي ليكون الوسيلة الرئيسية للحركة بإعطائهم الأولوية في الطرق وتيسير وسائل التظليل والخدمات المباشرة.
٢- تطوير وسائل النقل الجماعي والعام بما يتناسب مع كل مستوى.
٣- منع السيارات الصغيرة والخاصة التي تقل حمولتها عن واحد وعشرون راكبًا (على الأقل مبدئياً كمرحلة أولى) ثم تتدرج إلى أن تصل إلى ٤٠ راكبًا أو أكثر.

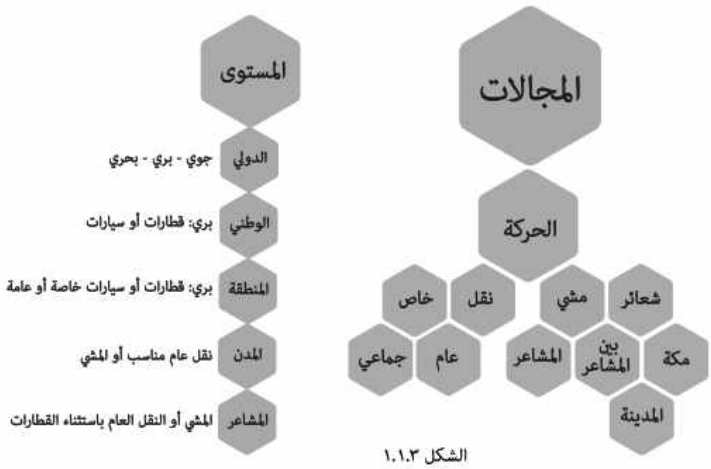

الشكل ١.١.٣

ولقد قام معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج بدراسات متعددة تفصيلية وشاملة حول سبل ووسائل تحقيق هذه الاستراتيجيات وإحدى هذه السبل هي موضوع الحركة الترددية وإنّ نجاح هذه التجربة يحتم علينا التوسع فيها وتطوير وسائل النقل المستخدمة كجزء من الاستراتيجيات الشاملة حتى نضمن استمرارية نجاح التحسن ونصل إلى الحل الشامل بإذن الله.

١.١.٤ الإسكان في منى

يتم النظر إليه وحل مسائله في إطار النظرة الشمولية في الحج خاصة الجانب الاستيعابي والذي يتعدى كونه استيعاب سكاني إلى جوانب أخرى متعددة متعلقة بالحركة والاستيعاب المكاني للمشاعر والشعائر مثل الطواف والسعي ورمي الجمار بالإضافة إلى استيعاب النواحي التنظيمية والصحية والبيئية والأمن والسلامة للأعداد الحالية والمستقبلية.

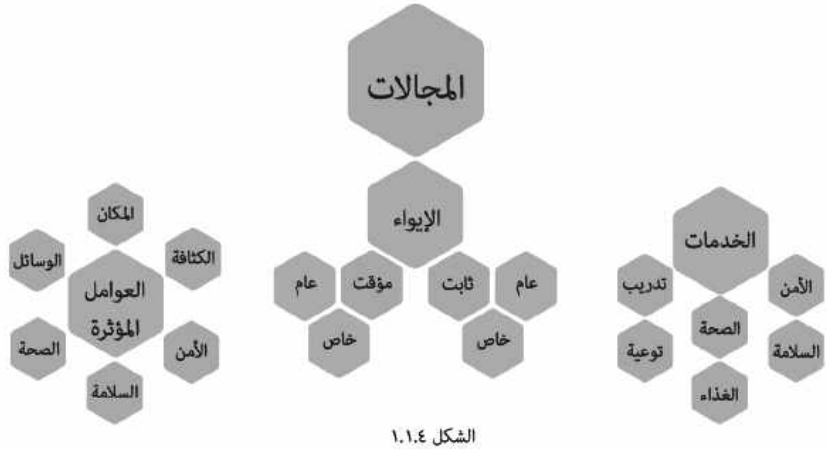

الشكل ١.١.٤

ويقترح معالجة موضوع الإسكان كجزء من أعمال الجهاز الفني المقترح وعلى المسارين السريع والطويل المدى حتى يتم التأكد من أن الحلول المختارة هي أحسن وأفضل الحلول الملائمة للحج وطبيعته الدينية والمكانية وكذلك الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للحجاج في الوضع الحالي والمستقبلي علمًا بأن هذا الموضوع له الكثير من الدراسات محليًا وعالميًا مثل المسابقة العالمية التي أجريت قبل حوالي ربع قرن من الزمان لاستيعاب مليوني حاج في منى والتي تمت تحت إشراف وزارة الشؤون البلدية والقروية ودُعي إليها نخبة من كبار المعماريين العاملين في أورو با وأمريكا واليابان وكان لكاتب هذه المذكرة مشاركة رئيسية فيها ومرورًا بغيرها من الدراسات على مدى عقدين من الزمان.

كما قام مركز أبحاث الحج بعمل عدد من الحلول لاستخدام سفوح الجبال قام بزيارتها عدد من الأمراء و المسؤولين و على رأسهم الأمير نايف بن عبدالعزيز بإضافة منشآت هيكلية متعددة الأدوار بدلًا من الهدم.

١.١.٥ الأماكن - الكثافة - الحركة - الاستيعاب - المسافة

أماكن الحج لها حدود وطبيعة جغرافية مميزة كأنها أوعية مختلفة الأحجام فيكون مدى استيعاب هذا النظام محدودًا بمدى استيعاب أصغر وعاء، ويكون الحجاج في كثافة أعدادهم مثل السائل، والمسافات مثل الوصلات التي بينها، وسرعة تفريغ وامتلاء أي منها من المعطيات الأساسية في تفهم علاقة المكان بالزمان بكثافة العدد، وطبيعة الحركة والوسيلة التي تستخدم في هذا التحرك، يعتبران من أهم المؤثرات على توازن هذه الحركة ومستوى هذه الحركة بالنسبة للمسافات الجغرافية.

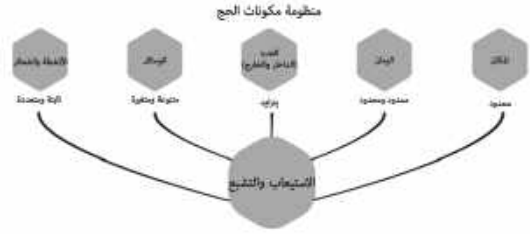

الشكل ١,١,٥

١,٢ العامل الزمني

إن معظم الحلول في الماضي ركزت على استيعاب العدد عن طريق توسعة المكان إنشاء أو إزالة ولم يستفيد من العامل الزمني والذي هو إحدى الوسيلتين الرئيستين لاستيعاب العدد (المكان ، الزمان) وله تأثير كبير في أمور الحج وجوانبه وخاصة المجال الاستيعابي للشعائر الدينية مثل الطواف والسعي ورمي الجمار وتتطلب الاستفادة من هذا الجانب الزمني الكثير من التنظيم الإداري والتعليمي والتوعية للحجاج في الداخل والخارج والقليل من التكلفة المالية مقارنة بالتوسع في المكان بالإنشاء أو الإزالة.

وعلى سبيل المثال فإنه قد وجد من الدراسات السابقة في مجال الحركة التفصيلية والدقيقة للجمرات واستيعابها أن ٧٥% من الحجاج يؤدون شعيرة رمي الجمار في ٢٥ % من الوقت المباح شرعاً ولذا فإن نشر الكثافة على الزمان المتوفر سيؤدي إلى تحسين الوضع في الجمرات وله فائدة أكبر وأقل تكلفة من التوسع المكاني عن طريق الإنشاء وهو أفضل أيضًا من ناحية علاقة حركة رمي الجمار على الوضع في الطواف والسعي لأن الطاقة الإنتاجية للجمرات في الساعة تصل إلى ثلاثة أضعاف الطاقة الاستيعابية والإنتاجية للطواف، والتوسعة في الجمرات ستؤدي إلى مضاعفة هذه العلاقة بطريقة سلبية وتثقل المشكلة بشكل أكبر وأصعب في حلها للطواف، وبعد التوسعة في كل من الجمرات والطواف أصبحت الطاقة الإنتاجية للجمرات تفوق الطاقة الإنتاجة للطواف بحوالي أربعة أضعاف، كما وُجد أن تقصير المسافات بين منى ومكة له تأثير سلبي على الطواف حيث أن المسافة الطبيعية بينهما تتناسب تناسب طبيعي لتكون هناك سيولة في الحركة بدون تكدس أو تراكم في الطواف فالفترة الزمنية المطلوبة لإنهاء الحاج للطواف والسعي والصلاة وغيرها من الأنشطة أقل من الفترة الزمنية المطلوبة لحركة الحجاج مشياً في الطريق الطبيعي بين منى ومكة المكرمة وهنا تجدر الإشارة إلى الجانب الهام في مجال النظرة الشمولية للحج ألا وهو التوازن والتكامل في حل مسائل الحج وخدماته.

٢. الهيكل التنظيمي:

إن الخطوة الأولى والأساسية هي إنشاء جهاز فني وتنظيم إداري متكامل الجوانب يتمتع بالكفاءات المتنوعة على أعلى مستوى علمي وفني وتقني وصلاحيات مناسبة ومرونة عالية في الأداء واتصال مباشر بأعلى المستويات الحكومية وإمكانيات مالية متكافئة ومتوازنة مع المتطلبات وبعد هذه الخطوة تتفرع الأولويات إلى مسارين رئيسيين متوازيين يكمل كل منهما الآخر وهما كالتالي:

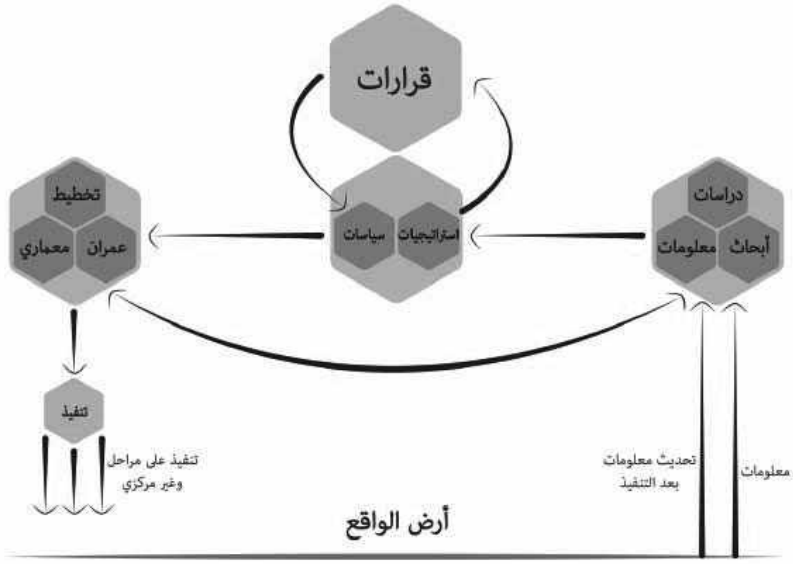

الشكل ٢.

المسار الأول:

حصر كل المسائل التي تؤدي إلى سلبيات ومشاكل طارئة خاصة ذات العلاقة بأمن وسلامة وصحة الحجيج الظاهر منها والمتوقعة ويبدأ العمل بوضع جدول زمني على مراحل عاجلة متوسطة طويلة المدى عاجل للسنة القادمة والسنوات التي تليها على المدى القصير. وجمع كل ما تم من دراسات وأبحاث ومشاريع سابقة وتحديثها بما يتماشى مع المعطيات الواقعية والعلمية و تلخيصها باستراتيجيات ترفع لولاة الأمر لاعتمادها و الخروج منها بسياسات و مبادئ تعتمد تمهيدًا لمرحلة التخطيط.

المسار الثاني:

- حصر كامل لكل ما يتطلبه الحج وخدمة الحجيج مثل: الإسكان - الإيواء - الحركة المرورية - والخدمات المتنوعة.
- جمع كل ما تم من دراسات وأبحاث ومشاريع وتقييمها تقييمًا علميًا وعمليًا هذا بالإضافة إلى مقارنته بما تم جمعه من المعلومات التي تمت في السنوات السابقة. وتحديثها بما يتماشى مع المعطيات الواقعية والعلمية و تلخيصها باستراتيجيات ترفع لولاة الأمر لا عتمادها و الخروج منها بسياسات و مبادئ تعتمد تمهيدًا لمرحلة التخطيط.
- وضع جدول زمني للأولويات على مدى سنوات قادمة وعلى مراحل دورية من السنوات مترددة كل سبعة سنوات ومتجددة دائمًا ما دام الحج.
- وضع مخطط شامل ومتكامل الجوانب صغيرها وكبيرها يتماشى مع الجدول الزمني للأولويات ويلتزم بالجوانب التالية:
  ١- الاستراتيجيات والسياسيات المعتمدة.
  ٢- الإمكانيات المالية المتاحة والمتوقعة.
  ٣- طبيعة الحجاج والحج والثوابت الدينية والطبيعة الجغرافية والبيئية.
  ٤- القدرة الاستيعابية لأماكن الحج والخدمات للكثافة العددية الحالية والمستقبلية.
  ٥- العامل الزمني للحج.

٢.١ المخطط التنفيذي

وضع مخطط تنفيذي متكامل على المدى الطويل يراعي ما سبق ذكره في المخطط الشامل ويحتوي كذلك على مخطط التمويل والسيولة النقدية المطلوبة. ويكون في شموليته متكامل الجوانب التنفيذية مثل المشاريع الإنشائية للخدمات المختلفة مثل الإسكان والصحة وأخرى وغيرها بالإضافة إلى الأمور التنفيذية الأخرى مثل: الإدارة - والتنظيم - والتعليم وغيرها.

٢.٢ التنظيم الإداري

ومما سبق ذكره وبالاستفادة من الخبرات المتراكمة للسنوات العديدة الماضية، يتضح تمام الوضوح أن هناك حاجة ماسة وملحة وأساسية لمظلة شاملة ممثلة في تنظيم إداري على أعلى المستويات يشار إليها هنا (بالهيئة العليا للحج) ويكون لها جهاز إداري وعلمي وفني متكامل ومتفرغ تفرغًا تامًا للحج وأماكنه ويتعاون وينسق ويستفيد من إمكانيات جميع الهيئات والمؤسسات الحكومية وغيرها.

٢.٣ الجهاز الفني

ريثما يتم تكوين هيئة الحج فإنه من الممكن وبشكل عاجل وضروري إنشاء جهاز فني متكامل التخصصات ومتفرغ تفرغًا كاملًا ويحتوي على المكونات الرئيسة التالية:

١- المعلومات والتحليل والاستراتيجيات (معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج والعمرة).
٢- التخطيط الشامل والمتكامل لكل جوانب الحج ومكوناته وأماكنه (هيئتي تخطيط مكة و المدينة).
٣- التنفيذ والإشراف بطريقة مركزية للتأكد من التطابق مع السياسات و الاستراتيجيات والمخططات المعتمدة.

أما بالنسبة للهيكل والتكوين الإداري لهذه الهيئة فهو خارج عن نطاق هذه المذكرة ويكون الرأي فيه لولاة الأمر حفظهم الله.

٢.٤ الأساسيات والثوابت وأسلوب العمل واتخاذ القرارات

مهما وضع من تنظيم ووفرة في الإمكانيات ووضعت من مخططات ونفذت من مشاريع قد تظل دائمًا عشوائية وقد تتعارض أحيانًا مع بعضها البعض أو مع الحج وطبيعته إذا لم يكن هناك أسس وثوابت وأهداف واضحة ترتكز عليها الاستراتيجيات والسياسات والتي يتم التخطيط لها و اعتمادها ووضع الخطط لتحقيقها وتنفيذها.

وبما أن الحج موضوع ديني أولًا وأخيرًا، وطرأت عليه بعض المتغيرات الزمانية و المكانية العصرية، لذا فإنه للوصول إلى هذه الأساسيات والثوابت ولتنوع المعطيات وتعدد الجوانب والأبعاد ولتحقيق أعلى مستوى من النتائج فإننا بحاجة إلى استخدام الشمولية والتكامل التخصصي كأسلوب علمي وعملي، وهنا يكمن سر نجاح معالجة مسائل الحج دراسة وتخطيطًا وتنفيذًا بحيث يكون هناك مسار واضح لمراحل تسلسل اتخاذ القرارات فعلى سبيل المثال لا الحصر:

المرحلة الأولى:

يعقد اجتماع تخصصي ويشارك فيه رجال الدين والعلوم الدينية والمتخصصين في العلوم الفنية لجميع الجوانب ذات العلاقة بالحج ومتطلباته وبعض المختصين في الجوانب التنفيذية من أهل الخبرة والرأي ويجتمعون بشكل متفرغ لمدة لا تقل عن أسبوعين لكل دورة تطرح فيها جميع الموضوعات والمسائل الأساسية للحج وتناقش وجهات النظر بتركيز حتى تتضح الصورة من جميع جوانبها الدينية والفنية والعلمية وغيرها ويعتبر ما ينتج عنها من توصيات هو المبادئ والأساسيات التي توضع على ضوئها الاستراتيجيات.

المرحلة الثانية:

يرفع ما يتم التوصل إليه من توصيات إلى ولاة الأمر لإقراره واعتماده ويعمم على جميع الجهات كسياسات أسس الأولويات ذات العلاقة بشؤون الحج وأماكنه.

المرحلة الثالثة:

يبدأ هنا الدور الرئيسي للجهاز الفني في تنفيذ الدراسات والأبحاث ووضع المخططات والخطط الملائمة لتنفيذ الاستراتيجيات والسياسات المعتمدة.

المرحلة الرابعة:

مرحلة التنفيذ والتطبيق والتي تقسم إلى جدول زمني لمراحل تنفيذية (التجربة المحدودة - التجربة الموسعة - التطبيق المحدود - التطبيق الموسع والشامل) وذلك حسب الموضوع والمسألة التي يتم معالجتها وبما يتيح تقييم كل مرحلة وملاءمتها مع الموضوعات والمسائل الأخرى.

المرحلة الخامسة:

مرحلة التقييم العلمي ومتابعة ما يتم تنفيذه في أرض الواقع لتحديث المعلومات والمخططات بشكل مستمر وبهذا تكتمل دائرة المراحل لأسلوب العمل للحج.

٣. الإرادة السياسية

لاشك أن هناك أمور كثيرة تخرج عن نطاق هذه المذكرة وحكمة ولاة الأمر ومعرفتهم بالأمور من جميع جوانبها أبلغ بكثير من وجهة نظر شخص بمفرده ومن الواضح جدًا أن الحج منظومة متكاملة تحتاج إلى نظرة شمولية وبما أنه متعدد الجوانب والأبعاد فلا بد له من مركزية في المعلومات والتخطيط والتنظيم والتنفيذ أو الإشراف عليه وأن يتماشى أي حل جزئي مع الكل وما يتخذ من خطوات سريعة أو قصيرة المدى لا تتعارض مع التخطيط على المدى الطويل.

وما تم اقتراحه من الحاجة الماسة إلى إيجاد هيئة للحج يتبعها جهاز فني يضم الجوانب المختلفة في مجال المعلومات والتخطيط والتنفيذ، فإن إنشاء مثل هذه الهيئة قد يأخذ بعض الوقت و من الممكن أن تكون هناك مرحلة تمهيدية للوصول إلى الحل الأكمل كالتالي:

أ- تكوين الجهاز الفني كمجموعة عمل متخصصة متكاملة تسخر لها جميع الطاقات الخاصة بها أو التي يستعان بها من الجهات الأخرى مثل سكرتارية لجنة الحج بما لديها من خبرة وقرارات وتنظيمات ومقترحات ومشروعات سابقة وغيرها من الأمور الأخرى.

ب- يطور معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج بجميع معلوماته وأبحاثه وإمكانياته العلمية والفنية والتقنية وأن يكون المعهد النواة الأولى للجهاز الفني حيث قد يسند إليه أعمال السكرتارية لهذه المجموعة المقترحة وليكون نواة مستقبلًا لأحد مكونات هيئة الحج الرئيسية الثلاثة (المعلومات - التخطيط - التنفيذ) لأن المعلومات هي أساس أي عمل تخطيطي جاد.

٣.١ اللجان والحج

لقد أتيحت لكاتب هذه المذكرة فرصة طيبة على مدى عقدين من الزمان كمدير عامًا لمعهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج (مركز أبحاث الحج سابقًا) ومستشاراً لسمو أمير منطقة مكة المكرمة، للمشاركة في مختلف لجان الحج وعلى كل مستوياتها وأنواعها المتفرعة والفرعية والتنفيذية والتخطيطية ولجنة الحج المركزية.

ولا شك أن اللجان لها دوراً هام في التدارس والمناقشة وتبادل وجهات النظر والاستفادة من خبرات الجميع وكذلك اتخاذ القرارات الجماعية على مستوى اللجان العليا، ولكن هناك بعض نقاط الضعف المشتركة أهمها:

- عدم تفرغ أعضاء هذه اللجان الدائم والمستمر.
- انشغال الأعضاء بمهام وأعمال أخرى تتعلق بمسؤولياتهم وأعمالهم الرئيسة.
- ضيق وقت الاجتماعات وتشعب الموضوعات.
- عدم توفر المعلومات والمخططات والاستراتيجيات التي تساعد على اتخاذ القرارات المتكاملة الجوانب.
- ضعف إمكانية المتابعة وعدم وجود الجهاز العلمي المتفرغ لمتابعة القرارات والتوصيات والتأكد من تنفيذها على مختلف المستويات.

ومن ثم فإن اقتراح هيئة للحج وجهازها الفني المتفرغ لا يتعارض مع دور اللجان الحالية المختلفة وإنما سيكون لهما دوراً رئيسياً في الاستفادة القصوى من خبرات وطاقات وإمكانيات أعضاء هذه اللجان وذلك بتهيئة المعلومات المطلوبة وإعداد المخططات وتحليل مختلف الاقتراحات والآراء والدراسات والمقارنة والربط بينها بطريقة تساعد متخذي القرارات على اختيار أفضلها ومن ثم المتابعة والتنفيذ والاستمرارية في إطار النظرة الشمولية المتكاملة للحج.
ويكون من أول مهام الجهاز الفني هو جمع كل ما يتعلق بالحج وأماكنه وشؤونه ووضع خطة زمنية لأولويات الموضوعات والمسائل.

٤. الميزان والحج

إن المشاعر المقدسة وشعائر الحج ترتبط ارتباطًا وثيقًا مع بعضها البعض في منظومة متكاملة تتأثر كل جزئية فيها بالكل والعكس صحيح وأن قوة هذه المنظومة تتمثل في قوة أضعف نقطة فيها كالسلسلة المترابطة تكون قوة السلسلة في أضعف حلقة فيها

الشكل ٤.١

ولكن مسائل الحج أصعب لأن نقطة الضعف تتغير من سنة لأخرى وبطريقة لا تكون متوقعة فمرة يكون الضعف في جانب السلامة ومرة في الازدحام عند أداء الشعائر أو السير في الأنفاق أو في حركة المرور أو في الصحة كانتشار الأمراض وهناك جانب آخر لهذه المنظومة وهو الجانب الاستيعابي للأعداد المتزايدة فسعة هذه المنظومة تتمثل في سعة أصغر استيعاب مثل الأواني المستطرقة وهي عبارة عن أوعية مختلفة الأحجام متصلة بعضها البعض عن طريق أنابيب، فالمحتوى له علاقة مباشرة بالاستيعاب المكاني وسرعة تفريغ المحتوى من وعاء إلى آخر وتؤثر في حركة المرور واستيعابها.

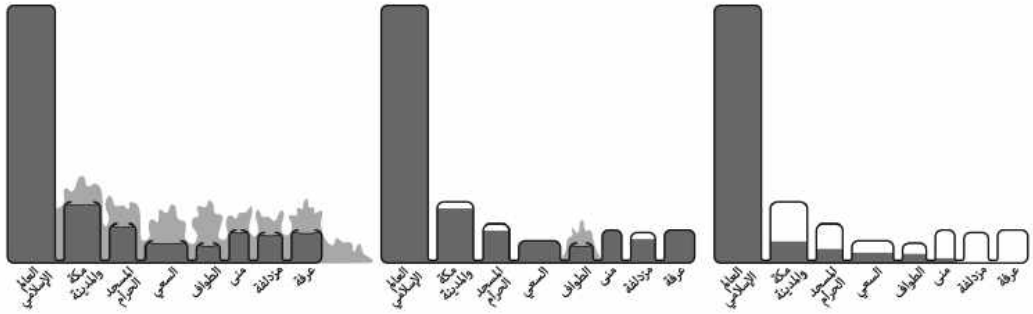

الشكل ٤. ب

وعلى سبيل المثال وبدءاً من الطاقة الاستيعابية للمطار ووسائل النقل المختلفة وعلاقة ذلك بانسيابية التفويج فإن عرفات هي أكبر وعاء استيعابي للإسكان في المشاعر تليها منى فإذا أخذنا استيعاب عرفات فقط لظهرت المشاكل في منى ولو أخذنا منى لظهرت المشاكل في الجمرات ولو أخذنا الجمرات لظهرت المشاكل في الطواف.

ولو نظرنا إلى الطاقة الاستيعابية العددية فقط لظهرت لنا مشاكل في نقط الضعف الأخرى منها السلامة والصحة والبيئة، حيث أنه في حال التركيز على المكان فقط، يؤدي ذلك إلى تغييرات جذرية على طبيعة الأماكن، إما بالتوسع (بالإزالة) أو بالإضافة (بالمنشآت)، أما في حال إضافة عامل (الزمان) إلى عامل (المكان) يصبح بالإمكان زيادة الاستيعاب والسلامة والأمان. وهذا يتطلب درجة عالية من التنظيم والتخطيط المسبق والتدريب و التأهيل التنفيذ المتكامل. أما عامل (الوسائل) مثل السيارات الصغيرة و الخاصة المستخدمة لخدمة الحجيج في المجالات المختلفة، فيؤثر تأثيراً كبيراً ومباشراً على الاستيعاب والأمن والسلامة وإمكانية التنظيم والصيانة والاكتفاء الذاتي والتوازن للمنظومة.

لذلك فإن الطريقة الصحيحة هي أن نحاول الموازنة بين كل معطيات ومكونات وعناصر الحج والمتغيرات الجديدة وغيرها من الجوانب والحل يكمن في استخدام الميزان التكاملي لنصل إلى التوازن.

٥. القسط والحج

القسط هو إ يجاد نقطة التوازن بين كل المدخلات و عملياً يمكن تحقيق ذلك باستخدام نماذج المحاكاة الحاسوبية و كان هذا أحد أهداف المركز وهو عمل نموذج محاكاة متكامل لجميع المدخلات مما يمكننا من اختبار أي حلول و مقترحات قبل تنفيذها وقبل صرف مئات الملايين لنكتشف أن الحل لايتناسب مع شيء آخر و الإمكانيات العلمية من البرامج و الحواسيب المناسبة تيسر لنا تحقيق هذا الهدف الذي طال انتظاره و كنا نسعى تحقيقه تحقيقًا لقرار مجلس الوزراء رقم (٧٢)

الخلاصة

الحج شعيرة، والأماكن مشاعر مقدسة، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة حرمين، وجهود الدولة معروفة و مشكورة ولكن هناك العديد من النقاط التي أتمنى أن تجد التدقيق والتحقيق العلمي والعديد من الأبحاث التي أجريناها في مركز أبحاث الحج والتوصيات الاستراتيجية التي تحتاج إلى تحديث والأهم الخروج من الصندوق المغلق.

الحج منظومة متكاملة تحتاج إلى نظرة شمولية وبما أنه متعدد الجوانب والأبعاد فلا بد له من مركزية في المعلومات والتخطيط والتنظيم والتنفيذ أو الإشراف عليه وأن يتماشى أي حل جزئي مع الكل وما يُتخذ من خطوات سريعة أو قصيرة المدى لا تتعارض مع التخطيط على المدى الطويل. وبعد أن تُستكمل الدراسات والخطط الشاملة وتُجرى بعض التجارب والتطبيقات التنفيذية على وسائل الخدمات وتكون هيئة الحج المقترحة قد استعدت للأعمال المنوطة بها، ويُنظر في الجانب العددي للحجاج وإمكانية الزيادة المستقبلية وذلك في خطة متوازنة ومتناسبة مع الخدمات والطاقة الاستيعابية لها مع مراعاة أعلى مستوى ممكن من الأمن والسلامة والصحة العامة وبطريقة تحترم طبيعة الحج وبيئته.

لهذه المنظومة ثلاث مكونات: مكان/زمان/كثافة، تؤخذ جميعها في الاعتبار بطريقة الميزان وكل مكونات المنظومة مثل السلسلة قوتها في أضعف حلقة، والحلقة الضعيفه تتغير كل عام! والحركة في الحج وأماكنها والطرق إليها تتشابه مع (الأواني المستطرقة) سعتها بسعة أصغر وعاء فيها. الشكل

التوصيات

أولًا: استخدام آلة الميزان بنظرة شمولية تفصيلية إلى الحج كمنظومة متكاملة تتأثر وتؤثر كل جزئية فيها على الأخرى مهما كان حجمها.

ثانيًا: إيجاد هيئة للحج يتبعها جهاز فني يضم الجوانب المختلفة في مجال المعلومات والتخطيط والتنفيذ وإنشاء مثل هذه الهيئة قد يأخذ بعض الوقت فإنه من الممكن أن تكون هناك مرحلة تمهيدية للوصول إلى الحل الأكمل.

ثالثًا: التنسيق والتخطيط يجب أن يكون مستمرًا طوال العام بأجهزة متكاملة من كل الوزارات متفرغة للحج وعلى كل المستويات من القيادة إلى جندي الميدان متدربين على كل الأمور والشؤون من الصحة العامة إلى النظافة والحركة و الإسكان وغيرها، على أن يبدأ الاستعداد والعد التنازلي اليومي للحج (٣٦٠) يوماً قبل الحج الذي يليه.

رابعًا: يكون هناك تسلسل منظم بين المراحل الثلاث الأساسية وهي، المعلومات والتحليل والتشخيص ووضع الاستراتيجيات بالرجوع إلى بنك معلومات يتم تفعيله، ثم التخطيط، ويليه التنفيذ.

خامسًا: استخدام أحسن الوسائل لعمل نظام محاكاة حاسوبي متكامل المكونات والمعلومات والخطط بطريقة مركزية ولامانع أن يكون التنفيذ للمشاريع لامركزي على أن يكون الإشراف موحد تحت هيئة عليا متفرغة بكامل أعضائها للحج تحتوي على أعلى مستويات الاختصاص والتجهيزات العلمية تخطط وتنسق وتربط بين كل الجهات ذات العلاقة.

سادسًا: التركيز على رفع مستوى الخدمة و الأداء إلى مستوى لا تقل فعاليته عن ٧٠% و من ثم التطوير التدريجي لاستيعاب المزيد من الأعداد.

سابعًا: التركيز على المسائل التي تحتاج إلى مشروعات تنفيذية وإنشائية وميزانيات ومبالغ ترصد في إطار خطة مالية شاملة ويكون التخطيط هنا لرفع مستوى الخدمات بكل جوانبها المتنوعة وذلك في إطار العدد الحالي للحجاج.

اسأل الله عز وجل أن يعين ولاة أمورنا الحكماء على ما يحب ويرضى من خدمة لضيوفه وتعظيمًا لشعائره ومحافظة على أحب البلاد إلى الله وأحب البلاد إلى نبيه صلى الله عليه وسلم.